يصعب على الدارس، إذا أراد تجنب المسلمات النقدية الشائعة، أن يصل إلى مفهوم كلي ينتظم طبيعة التجربة عند الشعراء الوجدانيين وموقفهم منها، ذلك لأن هؤلاء الشعراء، برغم نزعتهم الوجدانية الغالبة، يختلفون فيما بينهم اختلافا غير قليل في هذا المجال، حسب البيئة والنشأة والثقافة والمزاج.

فليس من اليسير مثلا أن يُقال، على سبيل التعميم، إن الشعراء الوجدانيين جميعا كانوا مشغوفين بالطبيعة، يعشقون جمالها لذاته أحيانا، ويخلعون عليه أحيانا أخرى بعض مواقفهم من الحياة والناس والحضارة الحديثة، فإن من بين هؤلاء الشعراء من لا نكاد نجد للطبيعة أثرا يُذكر في شعره إلا بمقدار ما يستمد منها بعض تشبيهاته ومجازاته كما يفعل الشعراء في كل العصور.

وليس من الممكن أن يُقال إن هؤلاء الشعراء كانوا مفتونين بعاطفة الحب يعبرون عنها أحيانا في إطار من التجارب الذاتية المحدودة، ويبسطون أحيانا من طبيعتها لتصبح وسيلة إلى التطهر والسمو والحنين الغائم إلى عالم مثالي، فإن منهم من يصنع ذلك، ومنهم من تَشْحُب في شعره تلك العاطفة فتطغى عليها ألوان أخرى من التجارب. وقد يقال إن «الكآبة» طابع غالب على الشعر الوجداني، وهو قول حق، لكنه لا يصدق على نماذج كثيرة من هذا الشعر، كما تختلف الكآبة فتظل صورة لحالات نفسية عارضة، وتعمق أحيانا وتمتد حتى توشك أن تكون نظرة ثابتة إلى الحياة والكون تدفع الشاعر إلى كثير من التأمل في غاية الحياة وطبيعة الخير والشر...

ومن أدلة هذا التباين عند هؤلاء الشعراء ما نراه من فرق واضح بين طبيعة التجربة والنظرة عند شعراء المهجر بوجه عام، والشعراء في الوطن العربي. فالمهجريون، برغم كثرة حديث الدارسين عن أشواقهم وحنينهم ولجوئهم إلى الطبيعة، يجنحون في الأغلب إلى التأمل في ذواتهم وفي طبيعة النفس الإنسانية، ووضع الفرد في المجتمع والكون، على حين تقل هذه النظرة «الفكرية» عند شعراء في الوطن العربي، ويطلقون لوجدانهم العنان، فتتحول الأفكار لديهم إلى أحاسيس يصبغها خيالهم بألوان مختلفة من مشاهد الطبيعة وعواطف الحب...

وهكذا نؤكد صعوبة «التعميم» في الحديث عن مضمون التجارب الوجدانية ومواقف الشعراء منها، إذ يكاد يكون لكل منهم عالمه الخاص، وإن اشتركوا في بعض السمات هنا أو هناك. وقصارى ما يستطيعه الدارس أن يلم أشتات هذه العوالم، ويحاول أن يجد وراءها معنى كليا يصدر عنه هؤلاء الشعراء على اختلاف تجاربهم ومواقفهم.

عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص. 307 وما بعدها (بتصرف).

اكتب موضوعا إنشائيا متكاملا تحلل فيه هذا النص النظري، مستثمرا مكتسباتك المعرفية والمنهجية واللغوية، ومسترشدا بما يأتي :

- تأطير النص داخل سياقه الأدبي والثقافي،
- تحديد القضية الأدبية التي يطرحها النص، وعرض أهم العناصر المكونة لها،
- رصد سمات الاتجاه الوجداني كما وردت في النص، وإبراز علاقتها بتجربة الشعراء الوجدانيين،
- بيان الطريقة المعتمدة في معالجة القضية المطروحة،
- صياغة خلاصة تركيبية تتضمن مناقشة موقف الكاتب من تجارب الشعراء الوجدانيين، مع إبداء الرأي الشخصي.

جاء في رواية «اللص والكلاب» لنجيب محفوظ : «... وتساءل سعيد مهران بصوت مسموع كئيب : «نور، أين أنت ؟» مُحالٌ أن تكون بخير. هل قبض البوليس عليها ؟ هل اعتدى عليها بعض الأوغاد ؟ هي ليست على أي حال بخير. هو يؤمن بذلك بقلبه وغريزته. لن يرى نور مرة أخرى. وخنقه اليأس خنقا، ودهمه حزن شديد الضراوة، لا لأنه سيفقد عما قريب مخبأه الآمن، ولكن لأنه فَقَدَ قلبا وعطفا وأنسا. وتمثلت لعينيه في الظلمة بابتسامتها ودعابتها وحبها وتعاستها فانعصر قلبه، ودلت حاله على أنها كانت أشد تغلغلا في نفسه مما تصور، وأنها كانت جزءا لا يصح أن يتجزأ من حياته الممزقة المترنحة فوق الهاوية. وأغمض عينيه في الظلام واعترف اعترافا صامتا بأنه يحبها...»

نجيب محفوظ، اللص والكلاب، دار الشروق، القاهرة 2006، ص. 112.

انطلاقا من هذا المقطع، واستنادا إلى ما اكتسبته من قراءتك الرواية، أنجز ما يأتي :

- تحديد موقع المقطع داخل مسار أحداث الرواية،
- إبراز دور نور باعتبارها قوة فاعلة في نسج أحداث الرواية وتطورها.